وأكبر الظن أني هالك أبدا شوقاً إليك وقلبي فيه ما فيه
من حسرة وإباء لست أملكه يأبى لِيَ العيش لم تُدْرَكْ معانيه
وأنت في الكون من قاص ومقترب
قد استوى فيك قاصيه ودانيه[1]
كأنني منك في ناب لمُفْتَرِس المرء يسعى ولغز العيش يُدْمِيه
كم تجعل العقل طفلاً حار حائرُهُ ورب مُطَّلِبٍ قد خاب باغيه
لو النبال نبال القوس مُصْمِيَةٌ
كنت اذُرِيتَ بسهم القوس أرميه
أو كان للسحر سهم نافذ أبدا لكان لي منه سهم صال راميه
يا مُصْلِتَ السيف قد فُلَّتْ مضاربه
ورامِيَ السهم قد خابت مراميه
قلبي يحدثني أن لا يليق به رضا بجهل ذليل اللب يرضيه
قد ثار ثائر نفس عز مَطْلَبُها وطار طائر لب في مراقيه
كالنسر لا حاجب للشمس يحرقه
ولا الصواعق والأرواح تَثْنِيه[2]
وأنت كالليل والأفهام حائرة مثل العيون علاها منك داجيه
ليل مهيب كليل البحر حندسه تكاد تسمع منه صوت طاميه[3]
فليت لي فكرة كالكون واسعة
أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه
ليس الطموح إلى المجهول من سفهٍ ولا السمو إلى حق بمكروه
إن لم أنل منه ما أروى الغليل به قد يحمد المرء ماء ليس يرويه
والقانعون بما قد دان عَيْشُهُمُ مَوْتٌ فان خضوع اللب يُرْدِيه[4]
يا قلب يهنيك نبض كله حُرَقٌ إلى الغرائب مما عز ساميه
فالعيش حب لما استعصت مسالكه
تجارب المرء تُدْمِيهِ وتُعْلِيهِ
كم ليلة بتها ولهان ذا أمل لم يُسْلِ قَلْبِيَ أن غابت أمانيه
لعل خاطر فكر طارقي عرضاً يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
يوضح الغامض المستور عن فطن وأفهم العيش تستهوي بواديه

عبد الرحمن شكري

(١) أنت الخطاب كله موجه إلى المجهول
(٢) الأرواح الرياح
(٣) أشد ما يكون الليل روعة الليل في وحشة البحر ولذلك يشبه به المجهول
(٤) دان خضع وذل

شعر ابن تسعين!

كتاب الفصول والغايات

يا صاحب الرسالة الغراء :

إليك من شيخ قعيدة داره ، رهين كتبه وأسفاره ، تحية الأديب للأديب ، ومناجاة القريب للقريب . وبعد فإني لما قرأت في رسالتكم الاعلان عن كتاب « الفصول والغايات » لشيخ المعرة حكيم الشرق اقتنيت منه نسخة وقرأتها فرأيت الشيخ الحكيم قد أتى فيه بالعجب العجاب ، ورأيت الشيخ الفاضل الزناتي قد أحكم فيه الصنيع ، وفاق كل أديب ضليع ، كيف لا وهو تلميذ شيخي اللغة المرصفي والشنقيطي لذلك فقد جئت بأبيات مدحاً في الكتاب وناشره . وإني مرسلها إليك لنشرها ، ولا أظنك إلا فاعلا إن شاء الله ، وإني وقد جاوزت التسعين من عمري لم أنشر شيئاً من شعري قبل اليوم ، وها هي ذي الكلمة

أين مني أبو العلاء أحييه وأهديه أصدق التهنئات
أنا في مصر وهو في الشام رهن القبر أعظم بفرقة وشتات
نال منه يراع كل غبي ورموه بأشنع السيئات
فتصدى لنصره المعي هو «محمود» عصره ابن «زناتي»
وانتضى ماضي اليراع فأبدى عن «كتاب الفصول والغايات»
كان هذا الكتاب رجم ظنون وشكوك تحتاج للاثبات
فجلاه للناس صفحة حق نُضِّرَتْ بالعظات تلو العظات
وأفانين تبهر العقل لم تخ طر لندب سواه منتظمات
وتولى تفسيره ببيان واضح اللفظ ناضر الكلمات
فغدا في صنيعه عبقرياً جل قدرا عن ناشري الهفوات
ناشري الكتب للتجارة لا للـ ـعلم مملوءة من الغلطات
جاعلي النظم في الطباعة نثرا ونثير الكلام مثل الرفات
ونظمت القريض طوعا لوجه العلم ما قلت فيه «خذه وهات»

محمد بك علي الدرعمي